العرب
الأربعاء 2020/02/19
السنة 42 العدد 11622

المتظاهرون في العراق ربحوا ثالوث الحب والحرية وكسر المحرمات

النساء إلى جانب الرجال في ساحات الثورة

لم يحقق المتظاهرون في ساحات العراق مطالبهم السياسية بعد، لكنهم استطاعوا أن يكسروا تابوهات كثيرة منها نزول الفتيات إلى الساحات العامة لمشاركة الشباب في الاحتجاجات فهتفن ورسمن وأسعفن وعشن قصص حب بعضها أثمر حفلات خطوبة بطريقة غير تقليدية.

بغداد - كاد علي لا يصدّق عندما أعلن صديقه فجأة أمام المتظاهرين في بغداد خطوبته على فتاة تعرّف عليها خلال الاحتجاجات التي نجحت في كسر محرمات اجتماعية عدة، وعجزت حتى الآن عن إحداث تغيير سياسي كبير.

ويرى علي خريبيط (28 عاما) الذي حضر حفل الخطوبة العفوي، أنّ المتظاهرين سجّلوا "هدفا واحدا" في مرمى السلطة مع استقالة حكومة عادل عبدالمهدي، لكن تمّ تكليف شخصية من النظام نفسه بتشكيل حكومة جديدة. لكن اجتماعيا "حققنا الكثير".

في المجتمع المحافظ الذي تسيطر عليه إلى حد كبير أحزاب دينية، أحدثت مشاركة النساء إلى جانب الرجال في التظاهرات، وهتاف المحتجين ضد سياسيين بينهم رجال دين، صدمة بين العراقيين الذين لم يكن من الممكن أن يتصوّروا ذلك قبل احتجاجات أكتوبر.

وغصّت ساحات الاعتصام خلال الأشهر الماضية بنساء تظاهرن وأسعفن مصابين وكتبن على الجدران ورسمن الوشم على أكتاف وأذرع الشبان وشاركن في حلقات نقاش وحلقات موسيقية.

وتردّدت عبارات "إلغاء الطبقية" و"إزالة الفوارق" على ألسنة المحتجين وفي وسائل التواصل الاجتماعي، وانتشرت صور الشبان والشابات من مختلف الفئات الاجتماعية وهم يسيرون جنبا إلى جنب ويذرفون الدموع معا بعد فقدان زملاء لهم في مواجهات قتل فيها المئات.

ويلخّص أحد مستخدمي "تويتر" واقع التظاهرات في بغداد بالقول "ساحة التحرير تجعلنا نحلم"، وذلك تعليقا على وقوع صديقه، سائق عربة التوك التوك، في حب مسعفة تنتمي إلى عائلة مرموقة. واندلعت التظاهرات احتجاجا على الفساد والبطالة في بلد غني بالنفط يعاني نحو 20 في المئة من سكانه من الفقر بعد عقود من الحروب والاضطرابات. فقد دخل العراق منذ 2003 نفقا طويلا من النزاعات التي عزلته عن العالم ودفعت بالآلاف من جامعييه ومفكّريه إلى الهجرة.

> أحد المغردين على تويتر كتب بعد وقوع سائق توك توك في حب مسعفة تنتمي إلى عائلة مرموقة «ساحة التحرير تجعلنا نحلم»

ويعتبر عراقيون الفترة الممتدة بين إعلان الانتصار على تنظيم الدولة الإسلامية نهاية 2017 وانطلاق التظاهرات، مفصلية في حياتهم كونها أتاحت لهم فرصة اختبار العيش في ظل استقرار نسبي للمرة الأولى منذ أربعة عقود.

وبحسب أحمد الحداد (32 عاما)، فإنّ دوامة العنف أدخلت "الجيل الشاب في غيبوبة لسنوات طويلة، لكن الاستقرار فتح أعينهم على حقيقة أن هناك أكثر من النجاة من الموت، كالعيش بكرامة في مجتمع مدني، وكسر التزمت الاجتماعي، ووقف سطوة الأحزاب الدينية".

ولم يكن العراق مرادفا للتشدد دوما، غير أنّ الثورة في الجارة إيران عام 1979، والقمع في الداخل حيث لم يكن يحق للمواطنين حتى امتلاك جهاز بث فضائي، ثم الحروب المذهبية والتطرف، دفعت شريحة واسعة من البلاد نحو التزمت، بحسب متابعين.

وغالبا ما ينشر عراقيون على وسائل التواصل الاجتماعي صورا للجامعات العراقية وأماكن العمل خلال سبعينات القرن الماضي تظهر فيها نساء يرتدين ملابس متحرّرة برفقة رجال.

وفتحت التظاهرات الأخيرة الباب أمام ما يشبه الانقلاب الاجتماعي، خصوصا في مدن الجنوب الزراعي المحافظة ذات الغالبية الشيعية.

في الديوانية (200 كلم جنوب بغداد)، لم تتخيّل المرشدة التربوية هيّام شايع طوال أعوامها الخمسين أن تكون قادرة يوما على الاختلاط والتعبير عن رأيها في مدينة قلّما تُشاهد فيها المرأة خارج المنزل.

وتقول شايع وهي تقف بالقرب من متظاهرين مرتدية عباءتها الجنوبية السوداء "لقد تغيّرت قضايا اجتماعية كثيرة بشكل مفاجئ وكبير".

بالنسبة لها، فإن المتظاهرين الذين قتلوا في حملة قمع أودت بحياة 550 شخصا، ضحّوا "من أجل وطن متحضر ومدني، لا متخلّف ورجعي".

ولم تأت هذه التغييرات دون مقاومة من سياسيين وحتى مواطنين هاجموا مسألة الاختلاط، واتهموا المتظاهرين بتعاطي المخدرات وشرب الكحول.

وكتب أحد مستخدمي تويتر "لم تسل دماء الشهداء من أجل السفور وقلّة الحشمة. هذه قلة وعي وليست ثقافة".

إلى جانب مسألة الاختلاط، منح الزخم الكبير عند بداية التظاهرات الشبان الجرأة على انتقاد السلطة ورجال دين وشخصيات أثارت الرهبة لسنوات طويلة. وبينها الزعيم الشيعي مقتدى الصدر الذي وُجه بسيل من الانتقادات على خلفية موقفه المتقلّب من الاحتجاجات.

وشجّعت التظاهرات كذلك شخصيات على الدعوة إلى إنهاء نظام المحاصصة بين المذاهب الذي ولد بعيد سقوط نظام صدام حسين، ومن بينهم لاعب كرة القدم السابق عدنان درجال الذي طالب بعدم "اعتماد الطائفية والمناطقية" في اللعبة الأكثر شعبية.

ووفقا لخالد حمزة، وهو مدير مركز أبحاث في بغداد، فإن الاحتجاجات قادت أيضا إلى إنهاء "قطيعة كبيرة" بين جيل قديم عايش الحروب والحصار، وجيل شاب يستعجل التغيير والتقدّم في بلد تبلغ فيه نسبة الشباب الذين تقل أعمارهم عن 25 سنة حوالي 60 في المئة من 40 مليون نسمة.

ويقول الرجل الستيني "نحن بصدد حراك تلقائي.. من شريحة من الشباب لم يُتوقع سابقا أن تنهض بهكذا مسؤولية.. لتنجز مهمات كانت أجيالنا غير قادرة على إنجازها".

أمّا هبة التي شاركت في تظاهرات البصرة في أقصى الجنوب، فتعتبر أنّ الاحتجاجات نقطة تحوّل اجتماعي.

وتقول الشابة وقد غطت نصف وجهها بوشاح خشية التعرّف عليها وملاحقتها، إنّ الحركة الاحتجاجية "قوّت شخصيتنا وجعلتنا نميّز بين الصحيح والخطأ ونطالب بحقوقنا".

ومع تراجع زخم التظاهرات في الأسابيع الأخيرة، يقف المحتجون عند مفترق طرق.

ويرى محمد العجيل أن الوقت الآن هو للعمل على تحقيق "الوحدة تحت مظلّة رؤية جديدة وخطة تستجيب لاحتياجات العراقيين"، وإن تطلب ذلك سنوات.

ويضيف، "ما يحصل مهم جدا، لكنه في الوقت ذاته جديد علينا. لا يمكن أن نتوقع أن يحدث كل شيء بين ليلة وضحاها".

العراقيات ورد الثورة والنصر

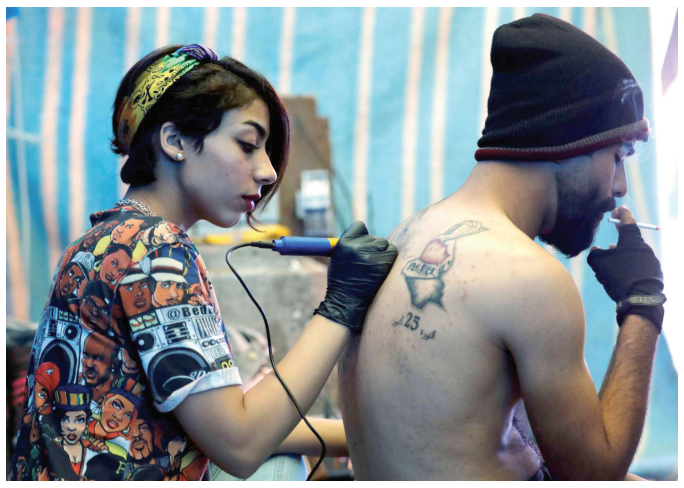

مطالبنا وشم على الكتف

نساء غاضبات

فريق نسائي لكرة القدم ينتزع إعجاب المجتمع المحافظ شمال سوريا

عامودا (سوريا) - طيلة سنوات، اعتادت سمر الشيخ أن تسمع من جيرانها وأقاربها الجملة ذاتها "كرة القدم للفتيان فقط"، إلا أنّ الأمر تغيّر كليا بعدما عادت وفريقها قبل أسابيع من دمشق مع كأس الدوري السوري الأول لكرة القدم للفتيات.

داخل ملعب في مدينة عامودا الواقعة تحت سيطرة الإدارة الكردية في شمال شرق سوريا، يكسو العشب الأخضر الاصطناعي أرضيته، تتدرّب سمر (20 عاما) مع زميلاتها في فريق يحمل اسم مدينتهن بحماس.

تقول، "منذ طفولتي وأنا متعلقة بكرة القدم، أحبها كثيرا، كنت أتابع إخوتي وهم يلعبونها" أمام المنزل.

في الخامسة عشرة من عمرها، بدأت سمر ممارسة كرة القدم تدريجيا، تدّربت وحدها قبل أن تنضم إلى فريق محلي، ثم ما لبثت أن ابتعدت عن ممارسة هوايتها المفضلة "لأن المجتمع يرفض فكرة ممارسة الفتيات لكرة القدم وبعدما تعرضت للكثير من الانتقادات من الأهل والجيران" وسط مجتمع محافظ إلى حدّ كبير.

في العام 2017، وبعدما تلقّت تشجيعاً من مدربها السابق، قررت العودة مجددا إلى الملعب "رغم الانتقادات" التي لاحقتها مجددا، تقول، "أصريت هذه المرة على قراري.. ولطالما احتفظت بأمل صغير وكنت أردّد دائماً أنّ الحال سيتغيّر رغم الأوضاع السيئة" منذ اندلاع النزاع الذي يوشك على إتمام عامه التاسع.

في ساحة وسط مدينة عامودا، استقبل أهالي المدينة اللاعبات اللواتي عدن من دمشق مع كأس الدوري الوطني على وقع موسيقى الطبل والمزمار. وحمل العشرات هواتفهم الخلوية لتصوير الفتيات اللواتي اعترتهن الدهشة.

وتم تتويج فريق عامودا لكرة القدم النسائية، بطلا للدوري السوري في دورته الأولى، كما حقق الفريق إنجازين آخرين، بتتويج اللاعبة "سمر شيخ" كهدافة للدوري، وتتويج لاعبته منال حاجي كأفضل لاعبة في الدوري السوري.

وتأسس فريق سيدات عامودا لكرة القدم عام 2016، حيث يمتلك الفريق 8 لاعبات يلعبن ضمن منتخب سوريا للسيدات الذي شارك في الدورة الأخيرة من بطولة كأس الأمم الآسيوية للسيدات والتي نظمت في العام 2018 بالأردن.

تقول سمر، التي سجّلت 13 هدفا وأحرزت جائزة هدافة الدوري، الذي استضافته دمشق وانتهى في 27 يناير، بفرح "لم أصدق حشود الناس التي كانت في استقبالنا في شوارع المدينة وكيف احتفلوا بفوزنا".

وتأمل سمر أن يكون فوزهن مقدمة لتألق رياضي على مستوى أكبر "بعدما تقدمت المرأة على كافة الأصعدة خلال الحرب وتُعرف المرأة الكردية بأنها مقاتلة" بعدما انضمت إلى صفوف المقاتلين الأكراد في شمال شرق البلاد.

بعد استراحة لمدة أسبوع فقط، عادت الفتيات إلى خوض التدريبات في الشهر الحالي.

في الملعب، تبدأ الفتيات تدريبهنّ بالركض، ثم تتنوع التمارين وتستمر لساعتين يوميا. عند كل استراحة، تتبادل اللاعبات الأحاديث والضحكات.

كرة القدم للفتيات أيضا

تواظب نوشان علي، 20 عاما، على الذهاب يوميا إلى وظيفتها كممرضة تخدير في مستشفى محلي من دون أن تنقطع عن التدريبات عصرا.

وتقول، "أنظم برنامجي بشكل جيد حتى أمارس هوايتي وإن كان الثمن الكثير من التعب"، قبل أن تضيف بحزم "إذا خيروني بين العمل والرياضة، سأختار كرة القدم طبعا، إنها كل شيء بالنسبة إلي".

على جدران غرفتها، تعلّق اللاعبة دلاف حسين، 16 عاماً، صور لاعبي ولاعبات كرة القدم الأحب إلى قلبها، وأبرزهم كريستيانو رونالدو. لم تواجه دلاف انتقادات من أسرتها بقدر مضايقات في الشارع "من بعض المارة حين يرون كرة القدم معنا".

وتوضح أن أفراد عائلتها "كانوا يقولون لي إن الدراسة أهم.. ويوبخونني أحياناً"، مضيفة مع ابتسامة عريضة على وجهها "بعدما أحرزنا البطولة، انتهت هذه المعارضة".

ولا يقتصر فرح اللاعبات على إحرازهنّ البطولة فحسب، بل لأنهنّ فرضنّ خيارهنّ على المجتمع وشجعنّ فتيات أخريات على الاقتداء بهنّ.

وعبر شيخ ستيني من أهالي عامودا عن فرحته عند استقبال لاعبات فريق عامودا المتوجات أبطال سوريا، قائلا إنه "يوم تاريخي بالنسبة لعامودا وأهلها، وتحقيق البطولة مدعاة للفخر للجميع، خاصة أنه يأتي في ظل ظروف صعبة واستثنائية".

وقال مساعد مدرب فريق سيدات "عامودا" دليل إربار، إن هذه الرياضة بدأت في الأحياء الشعبية، وكانت مرفوضة من قبل الكثير من الأهالي فأغلب الأمهات يتمسكن بالسلوك المحافظ، إلا أنها اليوم باتت مقبولة وهي لم تعد حكرا على الرجال.

وتشرح دلاف كيف شجع فوزهن الفتيات على الإقدام للمشاركة في لعبة كرة القدم، "بعد فوزنا، تأتي فتيات كثر لتسجيل أسمائهن في الفريق" وتلقي التمارين اللازمة.

ومازالت الشابة رولا رولا، 21 عاما، تتمنى أن يسمح لها والدها باللعب إلى جانب رفيقاتها وتنمية مهاراتها وهوايتها بعد أن منعها لأسباب مختلفة.

> استقبل أهالي مدينة عامودا المحافظة اللاعبات اللواتي عدن من دمشق مع كأس الدوري السوري على وقع الموسيقى

وقال الحاج زبير وهو أحد وجهاء عامودا، "من الجميل أن نشاهد بناتنا وفتيات عامودا يقتحمن عالم الرياضة الكروية، سنشجعهن وسندعمهن أيضا، ومن المعيب أن نبقى متأخرين عن غيرنا".

ويتخطى حلم دلاف حدود سوريا، حيث "الظروف هنا صعبة وما من ملاعب كافية والإمكانيات قليلة".

وتقول "أتمنى أن ألعب يوما ما في فريق عالمي"، وهي أمنية غير مستحيلة فقد خاضت زميلتها تجربة الاحتراف في العراق.